كلية: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مقياس: تيارات فكرية كبرى

السداسي: الثاني

وحدة التعليم: الأساسية

الرصيد:05

المعامل:02

البريد الإلكتروني: linda.zeghlache@univ-msila.dz

هدف المحاضرة السادسة: تعرف طالب على أهم أفكار التيار البراغماتي والمساهمين في تطوره وكيف برز منه أهم الأفكار التربوية المعاصرة، وفي الأخير الانتقادات الموجهة لهذا التيار.

المحاضرة رقم 6

التيار البراغماتي

د.زغلاش ليندة

1.التيار البراغماتي:

عرف هذا التيار الفلسفي بمسميات عدة ترتبط بالأفكار والمبادئ الواردة فيه، مثل: العملي والعلمي والنفعي، والإجرائي، والأدائي الوسيلي، والوظيفي، والتجريبي، الذرائعي.

وتعود جذور البراغماتية إلى فترة العصر الكلاسيكي، عندما رفض الأكاديميون فكرة (وجود حقيقة مُطلقة) يمكن تحقيقها.

نشأت الفلسفة البراغماتية في الولايات المتحدة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، تفضل أولوية العمل على المراقبة وأولوية التجربة على المبادئ والأفكار النظرية، وتضمّ أولئك الذين يعتقدون أنّ صحة مسألةٍ ما أو مذهبٍ معينٍ يعتمد على إمكانية تطبيقه عمليًّا، وأنّ الأفكار غير العملية مرفوضةٌ بالنسبةِ إليهم.

لقد أثرت البراغماتية بشكلٍ كبيرٍ ليس على الفلاسفة فحسب بل أيضًا على مجالاتٍ أخرى كالقانون والسياسة وعلم الاجتماع وعلم النفس والنقد الأدبي، كما ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالعلوم الطبيعية والاجتماعية الحديثة.

أما كلمة براجماتية فيه مشتقة من الكلمة اليونانية(Pragma):

وتعني عمل، أو فعل، أو نشاط، ويقال ان أصل هذه الفلسفة يعود الى زمن هراقليطس اليوناني (475–532 ق م) الذي آمن بفكرة التغير المستمر، وأن الحقيقة الثابتة المطلقة لا وجود لها. وقد حمل لواء هذه الفلسفة من المحدثين: **تشارلز بيرس** (1840–1914) الذي استخدم لفظ البراجماتية لأول مرة خاصة في كتابيه "**تثبيت الاعتقاد**" عام 1877 و"**كيف نوضح افكارنا** "عام 1878، وقصد به أن معيار الحقيقة هو العمل المنتج وليس مجرد التأمل النظري. و**وليام جيمس** (1842–1910) الذي ساهم في نشرها من خلال محاضراته وكتاباته العديدة وكان من أقواله: " **إن البراجماتية تمثل اتجاها فلسفيا تجريبيا**"، ودعا الى توجيه النظر نحو ثمرات العمل ونتائجه وآثاره، والفيلسوف الإنجليزي **شيللر** صاحب مذهب الأنسانوية (**Humanism**) الذي حاول من خلالها تطبيق مناهج البراجماتية المستخدمة في المنطق الميتافيزيقا. أما صاحب الفضل في تطوير هذا التيار الفلسفي الى فلسفة كاملة، هو الفيلسوف الأمريكي **جون ديوي** (1859–1952) الذي عارض الفلسفات التقليدية وسعى إلى بناء مجتمع أفضل على أساس راسخ من الاستقصاء العلمي، وأهتم بالتربية بشكل عملي، ورأى أنها عملية من عمليات الحياة، بل هي الحياة نفسها، وليست إعداد للحياة المستقبل. (أبو شعيرة،2008، ص101–102)

وقد أطلق على هذا الاتجاه **بالنفعي** لأنه يرى أن الأعمال التي يقوم بها الفرد تستمد قيمتها من نفعيتها له وللمجتمع، وكان **بيرسي** حريصًا على تطبيق مناهج البحث العلمي على التفكير الفلسفي، فالفكرة تعد صوابًا متى كانت النتائج المترتبة عليها نافعة مفيدة في الحياة الإنسان، وإلا وجب اعتبارها باطلة، أو غير ذات معنى يعول عليه، وعلى ذلك فإن الأشياء تحكم بقيمة الغايات التي تحققها، بمقدار النفع الذي تجلبه للفرد وللمجتمع والأعمال التي تقوم بها لا تكون لها أهمية إلا بقدر ما ينتج عنها من لذة وألم. وكل فكرة لا تتحول عند صاحبها الى سلوك عملي في دنيا الواقع فهي باطلة. (العمايرة،2010، ص193)

ترى هذه النزعة أن مهمة الفلسفة هي أن تحل مشكلة الوجود الإنساني، فالمناظرات الفلسفية والجدل النظري والصراع الأيديولوجي لا يحسم مشكلة ولا يقدم حلا، ولا طائل منه ما لم يكن يعبر عن مشاريع عملية قابلة لإنتاج آثار نافعة.

ومن هنا ذهب دعاتها إلى أن الفلسفة رافد من روافد الحضارة ولا بد أن نجعل منها دراسة حيوية، مرنة، لا تقبل الأفكار المجردة المطلقة، بل تبحث عن المشخص على اعتبار أن المعرفة أداة للعمل المنتج، فانصرفت من البحث في المبادئ والأولويات إلى البحث في النتائج والغايات، فأصبحت تربط صدق الفكرة بمدى منفعتها الواقعية ومن ثمة لم تعد الأفكار مطلوبة لذاتها وإنما تلتمس كوسائل لتحقيق أغراض في عالم الواقع.

ويعد فلسفة هذا الاتجاه هو انعكاس للواقع الأمريكي العلمي والصناعي والعلمي والتجريبي، لهذا أشار **شارل بيرس** أن عقائدنا هي في الواقع قواعد للعمل والأداء، فالأفكار والمفاهيم والتصورات الصحيحة، هي مدى تطابق الواقع الحسي، وما تؤديه إلى نتائج نفعية مفيدة وعملية. (وليام،1957، ص66). فالبراغماتية في عمقها تعني النجاح والعمل(Halvey,1995,p22-27). ولقد استطاعت ان تكون أداة تغيير للمجتمع الأمريكي، باعتمادها على الأسلوب العلمي التطبيقي كواسطة لفهم وتغيير المجتمع في مختلف ميادين الحياة، ابتداءا من المفاهيم والتصورات والأفكار في فهم الواقع وآليات ترشيده وتغييره.

لذلك فإن **الفلسفة البراغماتية**، هي تعبير فكري لما يجول في روح الثقافية للمجتمع الأمريكي، هذه الروح التي تميل الى التجسيد العملي للأفكار والتكريس التطبيقي لما هو عقلي، لكن هذا لا يؤدي بالضرورة الى القول، أن البراغماتية هي مطابقة الفلسفة المادية، نظرا الى التباين الكبير بينهما في كثير

من المبادئ والخصائص المختلفة، ولهذا يحرص الاتجاه البراغماتي، على عدم تصنيفه ضمن الفلسفات المادية خاصة في السياق المفهومي الذي بات يعرف بالماركسي، فلهذا الأخير خصوصية تقوم على أساس مادي جدلي تاريخي، لم يكن من الاهتمامات الفلسفة البراغماتية.

من فروع الفلسفة البراغماتية نجد مذهب يسمى **الأداتية** وهو من تأسيس **جون ديوي** الذي يقول: النظرية **أداة** أو **آلة** للتأثير في التجربة وتبديلها، والمعرفة النظرية وسيلة للسيطرة على المواقف غير المألوفة، أو وسيلة لزيادة قيمة التجارب السابقة من حيث دلالاتها المباشرة، والعلة **الأداة** هي العلة الفاعلة في المفهوم الفلسفي الكلاسيكي. (صليبا،1982، ص204)

2.منطلقات البراجماتيين وأفكارهم:

من أفكار هذا التيار الفلسفي متعلقة بطبيعة بعض الأمور ما يلي:

1.2.طبيعة العالم:

ترفض هذه الفلسفة وجود عالم حقيقي خارج العالم الواقعي الذي نعيش فيه، وترى أن هذا العالم نسبي غير ثابت، بل هو في حاله تغير وخلق مستمر، وهو خاضع للتجربة والبحث العلمي.

2.2.طبيعة الإنسان:

تنظر هذه الفلسفة للإنسان بشكل عام على أنه كل متكامل من حيث عقله وجسمه وروحه ومشاعره ولكن كل فرد له طبيعته وشخصيته الخاصة به كما انه له مقاصد وأهداف يسعى الى تحقيقها، من خلال المجتمع الذي يعيش فيه ويتفاعل معه.

3.2. طبيعة المجتمع:

يرى هؤلاء أن المجتمع الذي نعيش فيه، دائم التغير من خلال تفاعل أفراده، وتبادل الأفكار فيما بينهم بحرية، ومن هنا فهم يثقون بقدرة الإنسان على مساهمة في حل مشاكل المجتمع، وبالتالي استمرارية بنائه وتطوره.

4.2.طبيعة الحقيقة:

ترى هذه الفلسفة أن الحقائق المطلقة الثابتة غير القابلة للتغير لا يمكن للإنسان الحصول عليها في عالمنا هذا، أي أن الحقيقة غير مطلقة، وهي من أحسن ما في حوزة الإنسانية من معارف المجربة، لأنها ثمرة تفاعل العقل الإنساني مع بيئته التي يعيش فيها. ويأتي رفض هؤلاء لوجود حقائق مطلقة

خوفا من تحولها الى مواضيع لا يمكن الشك فيها، أو مناقشتها إذا دعا الأمر كذلك. (أبوشعيرة،2008، ص103)

5.2.ما يتعلق بالمعرفة وطرق الوصول إليها:

لا يسعى البراجماتيون وراء حقائق مطلقة، وهم لا يسعون وراء الحقيقة في عالم آخر غير العالم الذي نعيش فيه، وعندما يتوصلون الى الحقائق يختبرونها بتوظيفها في معالجة المشكلات التي يواجهها الإنسان، وتعتبر الحقائق دائما نسبية، وتكون الحقيقة أكثر صدقا من غيرها كلما زادت فرص استخدامها واتسع نطاق هذا الاستخدام.

وهكذا فكل مجتهد نصيب في البحث عن المعرفة ونقدها وتجديدها، ومثلما تكون الحواس إحدى الوسائل التي يمكن أن نستعين بها في الوصول إلى المعارف ومن خلال العمل، فإن البراجماتيين يعطون للنظر دورًا فاعلاً كبيرًا ويقيمون للعقل والاستدلال وزنًا هامًا فالإنسان صانع المعارف، وتزداد أهمية المعارف كلما كانت في خدمة تكيف الإنسان مع نفسه وبيئته ومجتمعه. (عريفج،2008، ص91)

6.2.طبيعة التراث والقيم:

لا ترى هذه الفلسفة فائدة من التراث الثقافي وممارسته لأن به التزامًا بالماضي، وهم يرون ضرورة فحص هذا التراث وقيمه للتأكد من مدى فائدتها العلمية حاليا، أي أنهم يؤمنون بنسبية القيم وبتغير أحكامنا حولها، بحسب نتائج تطبيقنا لها، ومدى المنافع التي تعود علينا جراء ذلك، أي أنه لا توجد قيم مطلقة تفرض علينا من الخارج حياتنا كما يرى المثاليون. (أبوشعيرة،2008، ص103)

والبراغماتي يتفهم قيمه وميوله ورغباته، ويدرك أهمية ما لديه من استعدادات وقدرات وإمكانات، ويبذل جهدا متلاحقا من أجل استثمار قدراته بشكل متناغم مع ميوله ورغباته.

وهو لا يخضع لقيم مطلقة، وإنما لأخلاق نسبية تقاس بنتائج اعتمادها وثمراتها في المنفعة الشخصية والاجتماعية.

ومصدر قيم البراغماتي يأتي من عالم التجربة، فهي قيم مصدرها الذات وواقع الخبرات والقيمة الأرفع هي الأكثر جدوى نسبيًا، والتي تقع في سلم الأولويات في فترة ما.

7.2.ما يتعلق بالتربية والتعليم:

يرى ديوي أن الفلسفة هي نظرية عامة للتربية ولما كانت فلسفة جون ديوي التربوية قد حررت طاقات الأفراد من عقالها، فقد كانت توجهاته بمثابة ثورة في الميدان التربوي نقلت المتعلم من دور التابع

الى دور الفاعل، ومن دور المتلقي الى دور صانع المعرفة، بحيث أصبح المتعلم نفسه هو محور العملية التعليمية، واستعداداته وقدراته وميوله ورغباته هي الأساس الهام الذي يقوم عليه المنهج التربوي، ولا تعتمد طريقة في التدريس لا ترتكز الى نشاطه هو في المقام الأول فالتعلم يقوم على العمل والنشاط. (عريفج،2008، ص91-92)

3.فروض الاتجاه البراغماتي:

يقوم الاتجاه البراغماتي على عدة فروض أساسية هي:(العمايرة،2010، ص194)

- لا يوجد في هذا العالم حقيقة ثابتة لا تتغير، وكل شيء في حالة تغير مستمر.
- الأفكار تكتسب معناها من خلال الأشياء التي ترمز لها في الواقع، ولكي نختبر أي فكرة فإن علينا أن نضعها في بوتقة تجربة.
- الطريقة العملية هي أسلم وأفضل طريقة لاختبار الأفكار.
- الجانب الاجتماعي من الحياة جانب مهم بالنسبة للفرد.
- العلم والمنفعة هما مقياس الحكم الوحيد.
- إن الحق به وجود ذاتي بل هو صفة تلحق بالحكم، فالحكم قد يتصف بعد التجربة بأنه حق ولكنه قبل ذلك لم يكن حقًا أو باطلاً.
- الإيمان بوحدة الشخصية الإنسانية وباحترام الإنسان وقيمه الذكاء البشري في إصلاح المجتمع وتقدمه.
- التعاون بين البيت والمدرسة، باعتبار أن التربية عملية اجتماعية.

ويضيف خالد محمد أبو شعيرة في كتابه مدخل الى علم التربية بعض المبادئ الذي يتميز بها هذا الاتجاه عن غيره: (أبوشعيرة،2008، ص102)

- يستحيل على الإنسان أن يصل الى حقيقة ثابتة لا تتغير في حدود العالم الذي نعيش فيه.
- الخبرة أداة للاتصال والربط بين الفكر والعمل، والخبرة الذاتية للفرد هي وسيلة لمعرفة العالم الخارجي وبالتالي التعامل معه.
- الديمقراطية أسلوب حياة وطريقة عمل، وهي خاضعة للعقل.
- الخبرة يجب أن تكون مقيدة، وليست مطلقة.

- الذات الفردية هي رمز سلوكي من نتاج موقف اجتماعي، ويتوقف استمرارها على هذا الموقف.
- المنفعة هي معيار العمل.

4.أهم شخصيات ورواد الاتجاه البراغماتي:

إنّ من أبرز وأهم الفلاسفة البراغماتيين الذين عملوا على تطور الفلسفة البراغماتية وتأثروا بها بشدةٍ هم:

1.4.جون ديوي(1859-1952):

يعتبر **جون ديوي** من أبرز ممثلي ومؤسسي الحركة أو الفلسفة البراغماتية، لقد ولد في مدينة **بورلنجتن(Burlington)** من ولاية فيرمونت**(Vermont)** سنة**1859** ، وقد تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدينته وتعليمه الجامعي في جامعة ولايته .وبعد إتمامه لتعليمه الجامعي في ولايته عام 1879 ،اشتغل بالتدريس لفترة من الزمن في إحدى المقاطعات، ثم ما لبث أن تاقت نفسه لمواصلة دراسته العليا في ميدان الفلسفة والعلوم السياسية والتاريخية .وقد استطاع في سنوات قليلة أن يحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة جون هوبكنز عام 1884.

وبمجرد حصوله على الدكتورة انضم إلى" **جامعة ميتشجين** "كمحاضر بها في الفلسفة .وقد بقي في هذه الجامعة لم يغادرها إلا فترة قصيرة إلى جامعة**"مينيسوتا** "حتى دعى عام 1894 لتولي رئاسة قسم الفلسفة **بجامعة شيغاغو**.وقد استمر في رئاسة قسم الفلسفة في هذه الجامعة حتى انتقل منها في عام1904 إلى جامعة" **كمومبيا**"، ثم استمر في جامعة كلومبيا منذ هذا التاريخ حتى تقاعده عام 1930.

" وقد نال" **ديوي"** شهرة فائقة كفيلسوف مفكر وكمصلح تربوي كبير لا في الولايات المتحدة وحدها، ولكن في جميع أنحاء العالم. وقد دفعت هذه الشهرة كثيرا من البلدان المتقدمة لدعوته ليحاضر في جامعاتها وليساعدها في تنظيم تعليمها .فدعته مثلا اليابان في عام 1919 ليحاضر في الفلسفة في" جامعة طوكيو الملكية "ودعته الصين ليحاضر في جامعة بكين لمدة سنتين، كما دعته الحكومة التركية ليساعدها عمى تنظيم تعليمها .وقد ظل ديوي في نشاط علمي دائب حتى توفي عام **1952.**

ومن أبرز أعماله في الميدان التربوي إنشاؤه لمدرسته النموذجية في مدينة شيكاغو سنة**1896** ، وقد اتخذ ديوي من هذه المدرسة الابتدائية النموذجية حقلا لتجربة نظرياته وآرائه التقدمية في التربية .وفي سنة **1902**ضمت هذه المدرسة لكمية التربية بجامعة شيكاغو لتكون مدرسة تطبيقية تجريبية ليا. وقد كاف لهذه المدرسة أثر بالغ في التمهيد للتربية التقدمية التي سادت أمريكا في النصف الأول من القرن العشرين". (العمراني ،2014، ص233) أقام ديوي برامج المدرسة حسب ما تنص به الفلسفة البراجماتية، **ومن أهم الأسس:**(الشيباني,1987,ص334-335)

- يجب مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة.
- التركيز على مبدأ التعاون وليس التنافس.
- ويجب أن تكون هناك علاقة وثيقة بين المدرسة والبيت.
- ويجب أن يوظف المتعلم الخبرات التي يكتسبها داخل المدرسة في مجتمعه والاستفادة منها.
- احترام ميول الطلبة وحريتهم في التعبير عن أنفسهم.
- من الأهمية بمكان أن يتعلم الطالب عن طريق خبرتهم ونشاطهم الذاتي.

لم يتجاهل ديوي الفلسفة الكلاسيكية بل تعلمها ثم رسم مدرسته على أسس اجتماعية ونفسية مختلفة، فأخذ من سقراط الجلادة والصبر، وأخذ من أفلاطون التأمل، ومن أرسطو الواقعية وبعدها قدم لنا الفلسفة البراجماتية التي ارتبطت بالتربية وربط بعدها التربية بالحياة العملية التي نعيشها بسكونها وحركتها وبكافة تحدياتها.

حارب ديوي الفكرة السائدة في القرن التاسع عشر التي تقول إن الطفل كائن سلبي ومهمة التربية فرض المعارف في ذهنه.

أيضا أكد ديوي على أن وظيفة المدرسة هي غرس القيم داخل الطفل، ويقول في هذا الصدد:" يلزم أن نجعل في كل مدرسة من مدارسنا حياة اجتماعية مصغرة بأنواع مهنها تعكس حياة مجتمع أكبر".(حسين،2020)

إنّ جون ديوي هو من طوّر الفلسفة التجريبية العقلانية، والتي أصبحت مرتبطةً بالبراغماتية فيما بعد، وحاول الجمع بين فلسفات بيرس وجيمس المتعلقة بالبراغماتية.

ونرى أفضل مفهوم قدم للبرجماتية والذي أتى به **جون ديوي** وقال: " أنها النظرية التي تهتم بالجانب العملي والهدف من المادة العملية هو العمل والتطبيق على أرض الواقع للاستفادة وليس مقصورا على النظر والاعتبارات الفكرية المجردة فقط". والبناء الأساس هو أن الفكرة لا قيمة لها إلا في حالة لها نتائج عملية مرضية في حل المشكلات، لأن ذاك الأمر الأساس. (العاني، 2003، ص 50 – 51).

ويعد ديوي من بين المؤسسين الأوائل مع بيرس وجيمس في تشكيل المذهب البراجماتي وهو من أكثر البراجماتيين نشاطا وإنتاجا حتى وصل إلينا هذا المنهج. وتشكل فكر جون ديوي عندما اعتنق فلسفة هيجل في البدء ولكن بعد ذلك رأى أنها مجرد تجريبية لا تسمو للكشف عن دور الفكر البشري. (مصطفى،1999، ص127).

ذهب ديوي أن البراغماتية عند جيمس تشكل امتدادا للبراغماتية عند بيرس لكن جيمس ضيق المنهج البراغماتي من جهة تحديد المبدأ العام للبرغماتية، ووسعه من حيث إمكانية تطبيقه على النتائج الخاصة في المستقبل.

يرى ديوي أن التفكير لا يتم في انعزال عن شئون الحياة ولكنه يتم في بيئة اجتماعية وثقافية ملئية بمثيراتها ودوافعها التي تحمل الفرد على التفكير ليتغلب على مشاكل الحياة التي يواجهها.

إن الطريقة التي يوصي بها ديوي في التدريس هي طريقة المشروع وكان يرى أن لها أثر بالغ في التدريس. وفي نظره الذي أشاطره الرأي فيه أن الطريقة التي تدرس بها المادة أهم من محتويات المادة ذاتها. والطريقة كما يعرفها ديوي أسلوب نافذ لاستعمال المادة في سبيل الوصول إلى غرض من الأغراض. (جون ديوي، 1946، ص174).

يمكن لأي تلميذ من خلال المشروع المدرسي أن يكسب الكثير من الحقائق والمهارات والخبرات أيضا والتي نجدها تنتمي لمواد دراسية عدة.(الشيباني، 355،2011). وكان ديوي رافض فكرة تقسيم

المواد التي تقوم على تقسيم المنهج إلى مواد منفصلة وكان يراها طريقة تقليدية. وأكد ديوي على أن طريقة المشروع تجمع بين النشاط العقلي والحركي أي الجسمي والاجتماعي وتساعده على التعلم بيسر. ومن أفكار جون ديوي التي ينادي بها هي أن التربية هي الحياة وليس مجرد تهيئة للحياة بل الحياة نفسها.

وكان يركز كثيرا على مرعاة الفروق الفردية بين الطلبة والاهتمام بميولهم ودوافعهم الطبيعية. (الشيباني،2011،36) وكان يرى أن من الأهمية بمكان التركيز على الثقافة العامة والتخصص يكون في الجامعة وليس المدرسة.

ذكر **ديوي** صفات الخبرة التي يجب أن تزود بها المدرسة الطلبة، وهي:(حسين،2020)

- يجب أن تسهم في زيادة قدرة الفرد التنفيذية.
- تزود الفرد بما تجعله اجتماعيا أي راغبا في صحبة الآخرين.
- تهيئة الذوق الفني أي قابلية تذوق الفنون الجميلة.
- يدرب على أسلوب التفكير.
- تذكي فيه الحساسية لحقوق الآخرين ومطالبهم.

كان **ديوي** يؤمن بأهمية البحث والاستقصاء وأن الأسلوب العلمي هو الأنجع في عملية البحث. وكان يردد أن الأسلوب الذي يقوم على الاستقصاء والبحث لحل المشكلات هو أكثر إيجابية إن كان قائما على الحرية الذاتية للتلميذ وهو خير من الدروس التقليدية التي تقوم على المعلم وأساسها التلقين. وتختلف طريقة **هربارت** في حل المشكلات مع طريقة **ديوي**؛ لأن طريقة **هربارت** تركز على المُدرس أما طريقة **ديوي** تركز على التلميذ.

يرى **ديوي** أن التفكير لا يحدث نتيجة التأمل البحت كما كان يعتقد أفلاطون وغيره من الفلاسفة المثاليين، ولكنه يحدث نتيجة نشاط الفرد وتفاعله من بيئته ونتيجة لوجود مشكلة يواجهها يريد إيجاد حل مرضي لها ليحقق لنفسه التكيف والسرور.

2.4.تشارلز ساندرز بيرس (من 1839 إلى 1914):

يعتبر مؤسس الفلسفة البراغماتية هو **تشارلز ساندرس بيرس**، حيث يعتبر اول من ابتكر كلمة البراغماتية في الفلسفة المعاصرة، وأول من استخدم هذا اللفظ عام 1878 وذلك في مقال نشره بإحدى المجلات العلمية تحت عنوان "**كيف نوضح أفكارنا**". حيث ذكر في هذا المقال: أن معتقداتنا في حقيقة الأمر هي قواعد للعمل، وأننا لكي نطّور معنى فكرة ما كل ما نحتاج إليه هو تحديد السلوك المناسب الذي تنتجه فحسب. والسلوك هو الأهمية الوحيدة لها، وإن الحقيقة الملموسة هي الجذر الأصلي لأفكارنا. وأنه لا توجد فكرة واحدة منها إلا وتكون اختلافا ممكنًا في العمل والممارسة. ولكي نصل إلى الوضوح التام في أفكارنا عن أي موضوع نحتاج إلى اعتبار الآثار العملية الممكن تصورها للشيء، وماهية الإحساسات التي يمكن أن نتوقعها منه. فتصورنا لهذه الآثار سواء أكانت مباشرة أم بعيدة هو كل تصورنا للشيء، مادام لهذا التصور أهمية عملية. ذلك هو مبدأ **بيرس**، إنه مبدأ البراجماتية. ووفقًا لهذا المبدأ البراجماتي لا يمكننا رفض أية فرضية صدرت عنها نتائج نافعة للحياة.

إلا أن هذا المبدأ ظل مهملا لم يلحظه أحد حوالي عشرين عاما حتى بعثه جيمس من مرقده مرة ثانية إلى الوجود حين ألقى محاضرة أمام رابطة البروفسور **هوويسون** الفلسفية بجامعة كاليفورنيا ونوه فيها بضرورة استخدام مصطلح البراجماتية في مجال الدين. ومن ثم انتشر المصطلح في المجالات الفلسفية. (كرستين،2021، ص189-190)

لذا نجد أن **بيرس** اعتبر أن العمل والنتائج المترتبة عنه، المعيار الأساسي في تحديد قيمة السلوك والأفكار والمعارف، لهذا يقول فيما معناه: " إن تصورنا لموضوع ما، ما هو إلا تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية". كما يقول (بيرس) "أن (الحقيقة والمعرفة) هي نتاج أفعالنا، وإن كل ما نعرفه في هذا العالم هو نتيجة لـ التحقق والبحث عن إجابات، وهذا البحث والتحقق هو (نشاط) قمنا به نحن."

ولقد تدرج في بحوثه ودراساته العلمية في جامعات أوروبية وأمريكية حتى تحصل على شهادة الدكتوراه سنة 1870 في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الامريكية، وقد عين بعد هذا كأستاذ في قسم التشريح والفيزيولوجيا ثم أستاذا لعلم النفس والسيكولوجيا. كما يُطلق عليه أحيانًا لقب (أب البراغماتية أو العَمَلانِيّة)، ولقد اعترف **بيرس** ان اكتشافه لمصطلح **براغماتية** كان عند دراسته لفلسفة وأفكار الفيلسوف الألماني **ايمانويل كانط**. كما كان له اهتمام بعلم المنطق، فشكلت مساهماته الفلسفية أساسًا في اختراع الكمبيوتر فيما بعد.

والبراغماتية حسب **بيرس** هي فلسفة عملية تجريبية تستبعد التأمل العقلي المجرد، والبحوث الميتافيزيقية العقيمة وبالتالي فهي نمط من أنماط الفلسفة العملية المفتوحة التي تخضع وتقبل التعديل المستمر حسب تطور المعطيات وتغيرها في فهم تحليل المواضيع والقضايا المطروحة للبحث والتحري، ولا وجود لفكرة نهائية مطلقة أو معصومة من الخطأ. وينبغي إخضاع كل فكرة مهما كانت للمنطق العلمي والعملي. والحكم عليها لا يكون إلا من خلال النتائج التي تحققها حاضرا أو مستقبلا. وللأفكار والمفاهيم استمرارية في الزمن حتى تثبت نجاعتها وقيمتها العلمية والمعرفية. (محمود زكي،1993، ص204)

3.4.ويليام جيمس (من 1842 إلى 1910):

يعد من أبرز الدعاة إلى البراغماتية، وهو أول من استخدم مصطلح البراغماتية في الطباعة، كما ويعتبر مؤسس علم النفس الأمريكي. وحسب رأيه، تدور البراغماتية حول القيم والأخلاق، وقد زعم أنّ الأفكار والمعتقدات تستمد قيمتها من إمكانية عملها وتطبيقها.

وبناءا على ماتناولناه عند **بيرس**، نجد أن **جيمس** جعل من "**نظرية بيرس في المعنى**" أساساً لفلسفته العملية كلها، وذلك في كتابه الرئيسي المُعنون "**بالبراجماتية**" حيث اعتبر أن معرفة الفارق العملي الذي يترتب على صدق المعنى هو الأساس الذي بمقتضاه نميز صدق الأفكار وصحة المعاني. وبهذا المعنى يكون معيار الحقيقة عمليًا. وأن تفسر المعرفة على أنها رد الفعل الذي يقوم به العقل لمواجهة مطالب الحياة العملية. فليس معيار الحقيقة مطابقة الواقع. بل قيمة الفكرة وما يترتب عليها من نتائج عملية ليصير معنى الفكرة هو ذلك المعنى العملي.

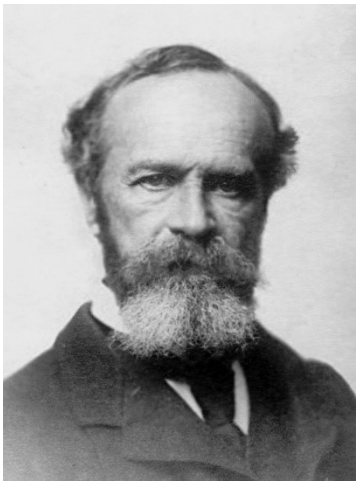

وقد ارتأى **جيمس** أن التجربة لا تكشف لنا عن أن أفكارنا نسخة دقيقة لموضوعاتها ولا أي شيء من هذا القبيل لأن العالم ليس وحدة متماسكة، بل هو مجموعة من الأشياء التي تتطور وتتغير في صيرورة مستمرة وزمان متجدد. وإذا كان الرأي التقليدي للعقلانيين قائما على فكرة الثبات، وعلى تعريف الحقيقة على أساس تطابقها مع شيء موجود من ذي قبل فإن جيمس لا يرى في الحقيقة نسخة مطابقة لما قد كان أو ما هو كائن. بل يرى أن الحقيقة، برجماتيًا، مرهونة بما سيكون، أو على الأدق تعد فعلنا لما سوف يكون. (كرستين،2021، ص 190-191)

تأسيساً على ذلك فإن براجماتية **جيمس** هي فلسفة تعددية تقابل الفلسفات الكلاسيكية أحادية الجانب. وفيها البرجماتي يدير ظهره بقوة للعادات الراسخة. إنه يبتعد عن التجريد، وعن الحلول الكلامية، والعلل القبلية، والمبادئ الثابتة، وعن الأنسقة المغلقة، والثوابت المطلقة ليتجه نحو ما هو محسوس وواقعي وعملي من الحقائق .بالإضافة إلى ذلك فإن البراجماتية تعتمد على الظواهر المستقبلية لا السابقة في العمل. لذلك تمثل الفلسفة البراجماتية السبيل إلى طريقة التفكير الوسطية التي نرغبها، والهوا الطلق وإمكانات الطبيعة مقابل الدوجما واليقين المطلق وادعاء الحقيقة النهائية. إنها مجرد منهجية لمزيد من العمل حتى يمكن تغيير الواقع الراهن بالإرادة الحرة. (كرستين،2021، ص 192)

إن البراغماتية لدى جيمس هي فلسفة حياة لأنها تهتم بمعالجته ما يواجه الإنسان من مشكلات في حياته، فهي تسعى لكي تحقق له الراحة وتجلب له النفع والخير والرخاء والطمأنينة والربح وأهم مبدأ في فلسفتها هو العمل، فغرضها صناعة الحياة لا التراكم المعرفي للأفكار والحقيقة فيما يقودنا للنجاح في الحياة العلمية وأكد على أهمية التجربة المعيشة في بلوغ الحقيقة بالمعايير التي تحددها.

4.4.جورج هربرت ميد (من 1863 إلى 1931): يعتبر أحد مؤسسي علم النفس الاجتماعي، وقد اشتهر بلقب **مؤسس البراغماتية الأمريكية .**

5.4.ويلارد فان أورمان (من 1908 إلى 2000): فيلسوف وأحد أساتذة جامعة هارفارد وأحد أهم ممثلي الفلسفة التحليلية، آمن بأن الفلسفة ليست مجرد تحليلٍ مفاهيميٍّ، بل تشكل الفرع المجرد للعلوم التجريبية.

6.4.كلارنس إرفينغ لويس (من 1883 إلى 1964): وهو من أبرز مؤيدي المنطق الفلسفي الحديث.

5.الانتقادات التي وجهت الى التيار البراغماتي:

من أهم الانتقادات التي وجهت الى الفلسفة البراغماتية: (العمراني ،2014، ص232)

–تؤكد الخبرة الذاتية للفرد بوصفها وسيلة لمعرفة العالم الخارجي والتعامل معه، وترى أن مفهوم الصدق يطابق مفهوم النجاح والفاعلية تطابق المنفعة فكل ما يحقق فائدة عملية ويقود إلى تحقيق أهداف الفرد صادقا وصحيحا.

–إنها تؤكد النمو التلقائي للفرد بحكم العوامل الوراثية الحتمية البيولوجية وتنظر إلى أهمية التراكم الكمي للخبرات الفردية في تكوين الشخصية. وعلى هذا الأساس تتعامل مع تربية الانتقاء الاجتماعي والتوزيع وفقا لقدرات الأفراد الطبيعية، ولا سيما الذكاء. وعليه لا يمكن بناء الشخصية المتكاملة بحكم إغفالها للتراث الحضاري والعوامل الاجتماعية والعوامل الأخرى تؤدي أثرا في بناء شخصية الإنسان وهذا يناقض منطق العلم، ويؤدي بالمتعلم إلى التشتت اتجاهاته.

–لا تتقيد التربية البراجماتية بمعايير روحية فليس في رأيها وجود سابق للقيم والمعايير الروحية، ولكنها تنشأ في أثناء القيام بالتجارب الناجحة، وتتولد في أثناء حل المشكلات المتنوعة. وترى أيضا أن الخبرة الذاتية للفرد والنجاح الفردي هما الأساس للأخلاق، وليس تراكم التراث الثقافي للإنسانية، أو لمصلحة المجتمع وقيمته، فهي بذلك تؤكد التنافس وتنمي الفردية والنجاح الفردي والمنفعة والبقاء للأقوى.

– ولأن النظرية البراغماتية تركز على الجانب العملي لعملية التعليم فإن النشاط المتعلم وفاعليته في النشاط والمشروعات والوحدات التي خططها المتعلم وينفذها فهي بذلك تقدمه للمعرفة بدلا من أن تقدم المعرفة له. وهذا سيؤدي إلى تحطيم التنظيم المنطقي للمادة العلمية، فضلا على أنها لا تقدم للتلاميذ إلا المعلومات الجزئية والسطحية ذات الهدف النفعي مما يؤدي إلى ضعف المستوى العلمي للتلاميذ.

-إن هذه النظرية ما هي إلا تعبير عن الواقع المجتمع الأمريكي وتطوره الاقتصادي والاجتماعي في تطوره العلمي وتقدمه الصناعي، وهي محور القيم الحضارية والاجتماعية التي تؤكد الربح والنجاح، ونمو والروح الفردية والنزعة العلمية والواقعية والنفعية معبرة عن ازدهار الرأسمالية وقوة البرجوازية.